**محاضرات وحدة تاريخ الجزائر الحديث – المستوى السنة الثانية ليسانس تاريخ – الأستاذة طيبي مهدية**

**المحاضرة رقم 4**

**الجيش الانكشاري بالجزائر خلال الفترة العثمانية:**

**مقدمة:**

نتج عن ارتباط الجزائر تحوّلات عميقة شملت كلّ المجالات فقد عرفت التّركيبة السّكّانيّة لمدينة الجزائر تغيّرات واضحة، حيث أصبحت تتميّز بتنوّع أجناسها و تعدّدها، ولعلّ من أهمّ هذه العناصر فئة الأتراك العثمانيين، الّتي تصدّرت الهرم الاجتماعي وأخذت مقاليد الحكم فكانت المؤسّسة السّياسيّة والعسكريّة تركيّة عثمانيّة.

ومنذئذ أصبحت تتوافد على الجزائر دفعات من الجيش الإنكشاري، كانت نواتها القوّة الّتي أرسلها السّلطان سليم الأوّل سنة 1520م لتدعيم مركز خير الدّين والمكوّنة من 6000 جندي، منهم 2000 من الجيش الإنكشاري المدرّب والمتمرّس على القتال إضافة إلى 4000 متطوّع.

**كيفيّة التّجنيد و تكاليف العمليّة:**

كان تجنيد الجيش الإنكشاري يتمّ بطلب من الدّاي، ويتولّى تلك المهمّة وكلاء الجزائر المقيمين ببعض مدن آسيا الصّغرى، أو جزر بحر إيجه، منها مدينة أزمير وكريت وجنقالة، أو عن طريق وفود مكلّفين بمهام من أفراد الجيش، و يترأس كلّ وفد ضابط.

ففي أزمير مثلا كانت الجزائر تمتلك خانًا يضمّ طابقين وبه غرف ومسجد ومخازن لإقامة الجنود قبل نقلهم إلى الجزائر، و كان يشرف على إدارته وكيل يعيذنه الباشا في الجزائر يسمّى "الباش داي" أو الباش داي، و يعمل تحت أوامره عدد من الموظّفين يعرف كلّ منهم باسم داي، ولم يكن يسمح لأي داي الجزائر بتنظيم عمليات التّجنيد دون الحصول على تسريح من الباب العالي و موافقته، وبعد أن يأخذ القبودان باشا موافقة السلطان العثماني، يرسل الأمر إلى حاكم مدينة أزمير بالسماح للجزائريّين بنصب خيمة التّجنيد، وكان الوكلاء يقومون بدعوة الشّباب من مختلف المقاطعات العثمانية للانضمام إليهم مقابل وضع اجتماعي يليق بهم، كما كانت العملية تتم عن طريق المناداة حيث يقف وكلاء التّجنيد أمام الجماعات ويذكرون لهم ما سيتقاضونه من أجرة بعد انخراطهم في الجيش، كما ساهم المجنّدون القدامى في عمليّة التّجنيد، فعند زيارة أهاليهم في تركيا يصطحبون معهم أثناء عودتهم إلى الجزائر شباب سكان مناطقهم.

ولقد اختلف عدد المجنّدين الوافدين سواء من حيث زمن تنظيمه أو الأعداد المطلوب تجنيدها، وذلك حسب الظّروف السّياسيّة و العسكريّة و الماليّة للإيالة، ففي 20 جمادى الأولى مثلا من عام 1215هـ/ 1803م توجّه وفد مكوّن من 12 رجلا بأمر من الدّاي مصطفى باشا إلى جزيرة رودس، وبعد مرور سنة تقريبا عاد الوفد ومعه 117 مجنّد جديد.

وكانت عمليّة التّجنيد تكلف خزينة الإيالة مبالغ ماليّة باهضة تصرف في تأجير الأرض الّتي تقام عليها خيمة التّجنيد، و النفقة على الجنود المقيمين في الخان، و دفع مرتبات الباش دائيات المشرفين على عمليّة التّجنيد و أجرة الإمام و التّرميمات الحاصلة بالخان، إضافة إلى الهدايا الموجّهة إلى الموظّفين السّامين في الدولة العثمانيّة، وحكام الأقاليم الّذين عملوا على تسهيل عمليّة التّجنيد، ففي سنة 1233هـ/ 1817م تلقى خسرو باشا ( أميرال في الأسطول العثماني) هديّة شملت معطفين و مسدس وثلاث سجات من المرجان، ثلاث سجات من العنبر، حزام، ساعة، جلد أسد، جلد نمر، وعبد أسود.

**التّركيبة الآثنية ( أصل المجنّدين):**

وفد المجنّدون من كلّ المقاطعات التّابعة للدّولة العثمانيّة، سواء المتواجدة بأروبا أو آسيا، و يمكن تصنيفهم حسب المناطق الّتي وفدوا منها إلى صنفين:

**أتراك الأناضول**: إنّ أكبر عدد من المجنّدين يأتي من مدن الأناضول حيث كتب كولومب Colomb ما نصّه:

"De Toutes les Régions de l'empire c'est L'Anatolie qui Fournissait la Majeure partie de Recrutement Algérien"

ومن هذه المناطق نذكر: ديار بكر، و قارة حصار، وصامصون، وأنقرة، وقونيّة وقرمان، و استانبول

أمّا بالنّسبة للصّنف الثّاني و يشتمل **الأتراك غير أناضوليّين**، فينحدرون من المقاطعات الواقعة بالقسم الأوربّي منها روملي و مورة ...ومن مدن بحر إيجه نذكر قوس وكريت وقبرص ورودس.

وفي السّنوات الأخيرة من تاريخ الإيالة أصبحت تضمّ عناصر قادمة من طرابلس وجبل طارق وليفورنة، وذلك بسبب الحصار الّذي فرض على الجزائر خاصّة بعد سنة 1827م، وبعد قضاء محمود الثّاني على الجيش الإنكشاري في الدّولة العثمانيّة سنة 1826م.

**كيفيّة وصول المجندون إلى الجزائر:**

بعد أن يتجمّع المجنّدون في موانئ إستانبول و أزمير و الإسكندرية و رودس، يتمّ تسجيلهم في قوائم تحمل الاسم و العمر، و البلد الأصلي، ويتمّ إيصالهم إلى الجزائر عن طريق رياس الجزائر في سفنهم الخاصّة، أو في سفن بلدان أجنبيّة مثل فرنسا، إنجلترا، و عند وصولهم إلى الجزائر يتولّى المقطعجي مهمّة ضبط اسم الجندي و اسم أبيه وموطنه الأصلي والحرفة الّتي كان يمارسها، ورقم الأوجاق المنتسب إليه و الثّكنة الّتي يقيم فيها، والأودباشي الّذي يعمل تحت إمرته إضافة إلى الزّيادات في راتبه، كما يبصم على الوجة الخلفي من ذراعه الأيسر رقم حجرته، ثمّ يوزّعون على الأوجاقات البالغ عددها 424 وجاقا، ويضمّ كل وجاق عددا غير محدود من الجنود، مثل الأوجاق رقم 156 يضمّ من 21 إلى 30 جندي، والأوجاق 134 يضمّ من 11 إلى 20 جندي.

**أماكن الإقامة:**

أقام الجيش الإنكشاري غير المتزوّج في الثّكنات والقلاع و الحصون والأبراج، وقد بلغ عددها ثمانية ثكنات، وهي كالآتي:

1. ثكنة المقرئيين أو دار الإنكشاريّة المقرئيين.
2. ثكنة باب عزّون أو دار الإنكشاريّة باب عزّون وتسمّى أيضا بالثّكنة الكبيرة ومتاع البانجية.
3. ثكنة الحراطين وتنقسم إلى بنايتين.
4. أ. ثكنة علي باشا الواقعة على اليمين.
5. ب. ثكنة صالح باشا الواقعة على اليسار.
6. أسكي يكيجري أي الثّكنة القديمة أو دار الإنكشاريّة القديمة المعروفة بالفوقانيّة.
7. يكي قشلا أي الثّكنة الجديدة و تسمّى بالسّفلانيّة أو التّحتانيّة.
8. ثكنة أوسطى موسى تعرف أيضا بثكنة باب الجزيرة لقربها من البحر.
9. ثكنة الدّروج وتعرف بثكنة أمتاع الدوامس.

كما أقام بعضهم في الحصون والأبراج مثل برج الفنار وحسن القصبة.

**الرّتب العسكريّة:**

1. **اليولداش**: يعرف برقيق الطريق و هو المجند الجديد الّذي لا رتبة له و يسمّى يكي يولداش أي يلداش جديد.
2. **أسكي يلداش** ( اليلداش القديم) و يتحصّل على هذه الرّتبة بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة.
3. **باش يلداش**: أو رئيس اليلداش و ذلك بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة في رتبة يلداش قديم.
4. **وكيل الحرج**: هو المقتصد.
5. **أودباش**: المسؤول عن الأوده في الأوجاق و تعادل رتبته رتبة ملازم أوّل.
6. **أشجي**: الطباخ.
7. **أشجي باشي**: رئيس الطّبّاخين.
8. **بيلوك باشي**: تعادل رتبته رتبة نقيب.
9. **الأيا باشي**: هو ضابط الدّيوان.
10. **الكاهية**: هو خليفة الآغا.
11. **الآغا**: هو القائد الأعلى للجيش البرّي و رتبته تعادل رتبة الجنرال الآن، وتدوم فترة تولّيه هذا المنصب شهرين فقط، لذلك يسمّى بأغا الهلالين أو القمرين.
12. **منزول آغا**: هو الآغا المتقاعد.

**مهام الجيش الإنكشاري:**

تتمثّل المهمّة الأساسيّة للجيش الإنكشاري في حماية الإيالة من أي عدون خارجي مع قمع التّمرّدات المحليّة في الدّاخل، و تدوم مدّة الخدمة العسكريّة حوالي 13 سنة يقضيها الجندي في ممارسة مهامّه على مستوى النوبات المحلات.

**النّوبات**: هي فرق الجيش الإنكشاري المكلّفة بحراسة القلاع و الحصون و الأبراج، و يسمّى الإنكشاري الّذي يتولّى هذه المهمّة بالنوبتاجي: و ينقسم الجيش في النّوبة إلى صفرات تضمّ كلّ صفرة مجموعة من الجنود يتراوح عددهم بين 11 و 16 جندي، وهي متواجدة في عدّة مناطق من الإيالة، منها: وهران، قسنطينة، عنابة، بجاية، دلس.

وأهمّها هي نوبة القصبة، و النّوبة التي تحرص القصر، وتتكوّن من الأتراك فقط، وتتألّف نوبة القصر من صفرتين، أمّا نوبة القصبة فتتألّف من ثلاث صفرات ونظرا لأهميّة هذه الأخيرة، فقد ورد ذكرها في قانون عهد الأمان الّذي صدر عام 1657م، وتمّ تجديده سنة 1748م ما نصّه:

"**إنّ قصبتنا هي مقرنا و يجب أن نحرسها يوميا بستماتة بلكباشي و الّذين يدورهم يقيمون فيها، مئتان منهم يقومون بالخدمة و الأربعمائة الأخرون يشكّلون الدّيوان ... يجب علينا السّهر على حماية قصبتنا ذلك أنّها من يمنحنا رواتبنا و عيشنا أي منبع رزقنا ومأوى جندنا"**.

**المحلّة**: هي فرق من الجيش الإنكشاري تتوجّه إلى البايليك لجباية الضّرائب الّتي تتم في شهر أفريل من كلّ سنة أو لقمع التّمرّدات المحليّة، و الجند في المحلّة ينقسمون إلى خيم، و تتألّف كلّ خيمة من مجموعة من الصفرات، وتضمّ كلّ صفرة عددا من الجند يتراوح من 11 إلى 16 جندي، و قد خصّ عهد الأمان المحلّة بعدّة قوانين سواء من حيث كيفية تموينها، أو مدّة تموينها، أو من حيث كيفيّة معاقبة الجنود المتمرّدين في المحلّة.

وعموما فان الجيش أدى مهام ايجابية وأخرى سلبية يمكن ايجازها فيما يلي:

**المهام الايجابية**

1. **صدّ الحملات الأجنبيّة**: تعرّضت الجزائر منذ ارتباطها بالباب العالي 1519م إلى غاية 1830م إلى عدّة حملات أجنبيّة، انتصر في معظمها، كما أظهر بسالته و قدرته على القتال في الحملات الأخرى أثناءها منها: حملة شارلكان 1541م.كما انتصر في معركة مزغران 1557م هذه المعركة الّتي خلدها الشّعر الشّعبي بقصيدة مطلعها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا فارس من تمّ جيت اليوم** |  | **قصة مزغران معلومة** |

كما نجح في صدّ حملة الكونت أوريلي سنة 1775م، و حملتي الدّون أنطونيو يرثلو الأولى 1782م و الثّانية 1783م، ممّا جعل إسبانيا تجنح للسلم عام 1785م، كما أظهر مقاومة أثناء غارة دوكان الفرنسي سنة 1682م على شرشال و 1683م على الجزائر، وانتصر أيضًا في الاسترجاع الأوّل لوهران 1708م في عهد الدّاي محمّد بكداش، وبعد أن استرجعها الإسبان 1732م تمّ تحريرها نهائيا سنة 1792م، و قد استاء اللورد إكسموث ببسالة الجيش الإنكشاري في القتال أثناء حملته على الجزائر 1816م حيث ذكر أنّه لم ير في حياته عدوا أكثر صمودا وأكثر تشبثا بأسلحته ولا حماسا، مثل حماس الجزائريّين في القتال.

1. **قمع التّمرّدات الدّاخليّة**: قاوم الجيش الإنكشاري عدّة تمرّدات داخليّة منها ثورة القبائل في عهد خضر باشا (1589- 1592م)، وثورة الكراغلة 1629م، كما قاوم الانتفاضات الشّعبيّة المتمثّلة في كلّ من ثورة الرّيف الدرقاوي في الغرب وابن الأحرش في الشرق.
2. تولى الجيش عدّة مهام إداريّة منها: تسيير مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين إلى جانب الأندلسيين، كما احتكروا تسيير أوقاف مؤسّسة سبل الخيرات المهتمة بالمساجد الحنفية التابعة لها.
3. مارسوا ما يقارب 28 حرفة منها: الحياكة، الخياطة، البجاقجية، الحفافة ... ولم يقتصر نشاطهم الاقتصادي على ذلك بل تولوا أمانة بعض الحرف مثل حرفة البابوجية، و الخياطة، والسمارة، نذكر منهم محمّد بلكباشي بن عبد الله أمين الخياطين، وأحمد الإنكشاري وكيل حرج 179 أمين جماعة السمارين ...

5-أسهموا في الأعمال الخيرية التي تجلت في كثرة عقود الوقف التي سجلت بأسمائهم، ولم تقتصر هذه الممارسة على رتبة دون أخرى من رتب الجيش، وقد استفادت من تلك العقارات عدّة جهات منها الحرمين الشّريفين، المساجد والأضرحة و الزوايا، و كان ما يجئ من المداخيل المتحصل عليها من تلك الأوقاف مصدرا لترميم تلك المؤسسات و الإنفاق عليها من دفع أجور الأئمّة و المدرسين و غيرها، وبذلك كان الجيش من المساهمين في استمرارية تلك المؤسسات في أداء وظائفها الدينيّة والثّقافيّة. وفي ممارستهم للنشاط الاقتصادي والخيري دلالة على اندماجهم مع بقية شرائح مجتمع مدينة الجزائر وقتذاك.

6- ساهم جنود النوبات أيضا في تفعيل الجانب الاقتصادي بتأمين الطرق الرئيسية، وبالتالي تسهيل مرور مختلف المنتوجات. أما المحلات فساهمت هي الأخرى في تفعيل الجانب الاقتصادي، حيث كانت تتحول زمن السلم إلى سوق مبادلة وتجارة سواءً ذلك بالنسبة للمواد العَينية التي تعرضها المجموعات القبلية بغرض تحويلها إلى مواد نقدية، أو بالمواد التي كانت تأتي بها المحلات من الجزائر لبيعها في دواخل البلاد.

**المهام السلبيّة**: تتمثّل في:

1. تورّط الجيش الإنكشاري في المؤتمرات على الحكام و الإطاحة بهم واغتيالهم، فكان الجيش يولي من يشاء و يعزل من يشاء، وهو ما تسبب في الفوضى و عدم الاستقرار، ومن الحكام الّذين كانت نهايتهم القتل نذكر الداي شعبان آغا (1688- 1695م)، و الدّاي مصطفى باشا (1789- 1805م)، و من الحكام الّذين تمّ عزلهم من طرف الجيش، نذكر آخر الباشوات و هو الباشا إبراهيم (1656- 1659م)، حيث لم يكتف الجيش بسجنه بل قاموا بتغيير النّظام السّياسي من الباشوات إلى الآغوات، كما قام الجند بعزل الداي حسان باش شاوش، وسمح له الديوان بالدّيوان بالمغادرة، فتوجه إلى طرابلس، و منها إلى مصر، و أبرز دليل على تدخل الجيش في السلطة مع التّسبّب في الفوضى و عدم الاستقرار. وهو نظام الآغوات (1659- 1671م) الّذي دام قرابة 12 سنة كانت نهاية حكامه الأربعة القتل من قبل الجيش و هم على التوالي خليل آغا (1659- 1660م)، ورمضان آغا (1660- 1661م)، شعبان آغا (1661- 1665م)، و علي آغا (1665- 1671م).
2. حرمان العنصر المحلي من الانخراط في صفوف الجيش، إذ بقيت حكرا على العنصر التركي، و خير دليل على ذلك عمليات التّجنيد من المناطق الأناضوليّة، وغير الأناضوليّة السّابق ذكرها، وبذلك اتّسعت الهوّة بين الحاكم والمحكوم.
3. حرمان الأبناء ( فئة الكراغلة) من الوصول إلى أعلى المناصب في الجيش، ممّا أدّى إلى وقوع صدمات بين الآباء و الأبناء تجسّدت في عدة ثورات قام بها الكراغلة ضدّ النّظام منها ثورة 1629، 1633.
4. ارتكاب الجيش الانكشاري عدة تجاوزات في طريقة جباية الضرائب مما أدي إلى تذمر الأهالي.

**القضاء على الجيش الإنكشاري:**

أدّى تدخل الجيش في السلطة إلى محاولة بعض الدّايات القضاء على تمرداتهم، منهم الدّاي علي خوجة (1717- 1718م) الّذي غير مقر إقامة من قصر الجنينة إلى أعالي القصبة، ممّا جلب نقمة الإنكشارية عليه، فحاولوا اغتياله و لما اكتشف تلك المؤامرة قام بإعدام عشرة إنكشاريين من المتآمرين، و قطع رؤوسهم عند باب القصبة إهانة لهم، كما قضى على حوالي 2000 إنكشاري، و 150 بلكباشي، واضطرّ آخرون إلى العودة إلى الأناضول، و عوضهم بعناصر من حامية الشرق و فرق الزواوة والكراغلة، و تتمثّل هذه الحادثة بداية النّهاية للجيش الإنكشاري بالجزائر، ثمّ قلّ التّجنيد من المناطق العثمانيّة بسبب الحصار الفرنسي و الإنجليزي للبحر المتوسّط، إضافة إلى قضاء محمود الثاني على الجيش الإنكشاري في الدّولة العثمانية فيما عرف بالواقعة الخيريّة سنة 1826م.

وفي سنة 1830م تعرّضت الجزائر للاحتلال الفرنسي، و بالتالي إنهاء الحكم العثماني بالجزائر، و بالتالي نهاية الجيش الإنكشاري الّذي كان حاجزا حال دون تحقيق الأطماع الأوربيّة خاصّة الإسبانية في المنطقة هذه تزيد عن ثلاث قرون.